

## التربية الإسلامية

أيها القارئ الكريم:

إن التربية الإسلامية الصحيحة تستوجب حُسن القدوة في كل شيء. فالطفل يُولد بين أبوين، وينشأ في ظل أسرة ترعاه ومجتمع يحوطه. وهو شديد التأثير بما حوله، سريع التقليد والمحاكاة لما يرى. فإن رأى خيراً قلده، وإن رأى مُكراً حاكاه. يَنشأُ الناشئُ على ما تَعَوَّدَ. لذا كان لا بُدَّ من توفّر القدوة في البيت أولاً، وبخاصة في الأبوين اللذين تبدأ حياة الطفل بينهما.

وعناية الإسلام بالتربية تبدأ قبل أن يُولد الطفل بتهيئة جوٍّ صالح. إنه يأمر بتخير التربة الصالحة لغرس نبتٍ كريم.

يحرصُ الإسلام على تخيير ذات الدين التي يُملئُ عَليها دينها أن تحفظ الرجل في نفسه وماله، ولا يرى منها إلا ما تَطيبُ به نَفْسُهُ ويطمئنُ له قلبه.

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا. فَاطْفَرُ بِيَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ » <sup>(١)</sup> وليس المقصود المقارنة بين الدين وغيره من المال والجمال، أو التنفير منهما، بل المراد أن يكون هدفُ الإنسان أولاً الدين، وهذا لا يتعارض مع الجمال أو المال أو الحسب، ولكن شيئاً من ذلك لا يصلح أن يكون مقصودَ الإنسان من الزواج مُجرّداً عن الدين.

(١) رواد البخاري.

## كان خلقه القرآن

وليس المطلوب نظّر الرجل فقط إلى ذات الدين، بل نظّر المرأة أيضاً فلا تُخدع بما ترى من ألوان المتع والزينة، فإن الناس معادن فلا يُخدعن أحدًا بالبريق الزائف عن الجوهر الأصيل.

في الحديث المتفق عليه عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي قال: « مرَّ رجُلٌ على رَسولِ اللهِ ﷺ فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حريٌّ إن خطبَ أن يُنكح، وإن شفعَ أن يُشفع، وإن قال أن يُستمع. قال: ثم سكت. فمرَّ رجُلٌ من فقراءِ المُسلمين، فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حريٌّ إن خطبَ أن لا يُنكح، وإن شفعَ أن لا يُشفع، وإن قال أن لا يُستمع. فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مثلَ هذا »<sup>(١)</sup>

ذاك حرصُ الإسلام على تخير التربة الصالحة والبذرة الصالحة، بل الجور الصالح الذي ينشأ فيه الطفل الوليد. إن الحياة الزوجية حياةٌ ممتدة وكما يقولون في التعبير الدارج: (عشرة العمر).

وهذه تطلب من الصفات الإنسانية أولاً ما يدعو إلى التحمل والقناعة والصبر والرضى، أنت تطلب زوجاً يعجبك حُسْنُها، وتسعى بكلِّ الوسائل الممكنة للظفر بها. يتم الزواج وتقع العشرة فلا تلبث أن ترى هذا الجمال المرغوب وقد أصبح عادياً بالنسبة لك.

فالشيء ترغّب فيه إذا امتنع عليك، وتزهّد فيه إذا وصل إليك واستدام معك، وتأتي الحياةُ الرتيبة التي تنشُد صفات النفس المستقرة؛ لكي تتوافر للبيتِ نعمته من الأمانة والرضى والقناعة مع الصبر، والتحمل لظروف الحياة المتباينة، وتلك لها بالدين أبرُّ صلة وأكرمُ رباط. بل لا ينهض بها إلا الدينُ الذي يجعل الإنسان يؤثّر - دائماً -

(١) متفق عليه.

مرضاتِ ربِّه فيما يأخذ أو يدع، ويراقبه ويخشاه في السرِّ والعلن. لا بُدَّ أن يتوافر للنفس أمران القناعة والرضا، اللذان يُفِيضَان على النفس الاستقرار والوقوف عند معالمٍ وحدود؛ إذ لا يصلح أمر الإنسان إذا شغلت النفس بامتلاك كلِّ ما تتطلع إليه.

ولأمرٍ ما أراد الحق - تبارك وتعالى - أن يُعَلِّمَنَا حين امتنَّ على نبيه ﷺ فقال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (١) فجعل الرضا أعلى مراتب النعمة والعطاء. لم يُقَلِّ كمًّا محدوداً، أو مالا معدوداً بل قال: ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾

والحق إن إنساناً تعطيه من المال عدداً وافراً ثم يُسَلِّبُ نعمة الرضى، فتجده من ماله في شقاء! وإنساناً آخر تُعطيه من المال قدراً ضئيلاً ثم يُمنح نعمة الرضا، فيكون من حاله في هناء، وهذا الرضى القانع لا يمكن أن يتم بالحصول على ما ترغب النفس وتشتهي.

### والنفسُ رغبةٌ إذا رَغِبَها وإذا تُرِدُّ إلى قليلٍ تقنع

إنما يتم الرضى بخصائص النفس ونزاهة الطبع وصدق التدين، عندئذ يُمنح الإنسان الرضى، لا بالحصول على ما يرغب ويشتهي. فإن النفس غير القانعة كلما أُعطيت طلبت المزيد، ولا تعرف حدًّا لما ترغب ولا حدوداً لما تشتهي.

لذا رَغِبَ الإسلام في صاحب الدين؛ وصاحبة الدين ليضمن سلامة العشرة وصفاء المودة؛ وليقوم في البيت أساسُ التربية الصحيحة لاستقبال الوليد الذي تفتح عينه على طهر البيت ونظافته.

(١) الضحى : ٥ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « إِذَا خُطِبَ إِلَيْكُمْ مِنْ تَرْضُونَ دِينَهُ وَخُلِقَهُ فَرُوجُهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ » <sup>(١)</sup>

أخي المسلم:

هل رأيت كيف يُهَيَّأ الجو للتربية الصحيحة بتخير التربة، والبذرة الصالحة، والجو الصالح.

إن إهمال هذا الجانب انحراف بالتربية من أول الطريق ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ

يَهْدِ قَلْبَهُ <sup>(٢)</sup> وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ <sup>(٣)</sup>

أيها القارئ الكريم:

إن التربية الإسلامية الصحيحة تستوجب حُسن القدوة في كل شيء، وقد رأيت حرص الإسلام على قيمة جو صالح ينشأ فيه الطفل، وهذه التهيئة تتم قبل أن يولد الطفل بتخير التربة الصالحة والبذرة الصالحة والجو الصالح الذي ينشأ فيه الطفل، وهذا كله لا يتم إلا بتدين صادق وإيمان يسيطر على جو الأسرة ويجعلها تنعم بعنق الطهر والاستقامة والعفاف.

إن الإسلام حَفِيٌّ بشرف التربة التي ينشأ فيه الطفل، والأرحام التي يُجْعَلُ في قرارها. فهو يُحَرِّمُ الزَّنى؛ حتى تتوافر للإنسان قبل أن ينزل إلى الدنيا أسرة ترعاه، وأبوة تحوطه، وأصلٌ يمتد به نسبه ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ

سَبِيلًا ﴿٣﴾ <sup>(٣)</sup>

(١) رواد الترمذي.

(٢) التغابن : من الآية ١١ .

(٣) الإسراء : ٣٢ .

وهو في سبيل المحافظة على هذه التربة وصيانتها يمنع الأسباب التي قد تجر إلى إفسادها ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۗ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣١﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ۗ ﴿٣٢﴾<sup>(١)</sup>

عناية كاملة بتهئية تربة شريفة طاهرة ينبت بها غرس كريم، ينتمي إلى أسرة خنوفة بالطهر مُحصنة بالعفاف؟.

عناية بإعداد جو صالح لتربية الإنسان قبل أن يتدرج في الخلق بل قبل أن تحمله الأرحام.

وُلد الإنسان، فتعالوا نتابع سير الإسلام في تربيته وإعداده، نأخذ ذلك من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

إنه يعني برضاعته وحضانه وتحديد المسؤوليات التي تترتب على ذلك؛ حتى لا يضيع الطفل بين ما قد ينشأ في الأسرة من مشاكل، وبخاصة بين الأبوين.

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۗ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۗ وَعَلَىٰ الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۗ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ۗ وَعَلَىٰ الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا فَأَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ

(١) النور : الآية ٣٠، ومن الآية ٣١.

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ (١)

وما أجل وأبر وأكرم وأحوط للرعاية أن تسمع في ختام الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

إلها العناية بأمر الإنسان ورعاية أمره. والله يأمر بالتقوى بعد بيان الحقوق والواجبات حتى تسلم النفوس من دوافع الهوى، وينعم الجميع بنعمة العدل والبر، والله بصير بالأعمال والمقاصد لا تخفى عليه خافية ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (٢)

وفي سبيل التربية الإسلامية الصحيحة يُعني القرآن بالأئمة (أم الطفل) ويجعل البرَّ بها ممتداً لا ينقطع، ولا يجعل للمشاكل التي قد تنشأ بين الأبوين أي تأثير على حقها أو حق الوليد التي تستقبله الدنيا ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ<sup>٤</sup> وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ<sup>٥</sup> حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ<sup>٦</sup> فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ<sup>٧</sup> وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ<sup>٨</sup> وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْهُ لَهٗ<sup>٩</sup> أُخْرَى﴾ (٣)

حثُّ للأم ألا تنسى أمومتها بعد حثُّ الأب ألا يَضِنَّ بالراحة على الأئمة، والعناية بالطفولة، كلُّ في حدود طاقته ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ<sup>١٠</sup> وَمَنْ قَدِرَ

(١) البقرة : ٢٣٣.

(٢) بولس : من الآية ٦١.

(٣) الطلاق : ٦.

عَلَيْهِ رِزْقُهُ، فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ<sup>٤</sup> لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا<sup>٥</sup>  
سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾<sup>(١)</sup>

ونرى الإسلام - دائماً - يُشير دواعي الحب والرحمة، ويعمل على توطيد الألفة والمودة بين الزوجين الذين ينشأ الطفل بينهما.

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٧﴾<sup>(١)</sup>

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾<sup>(٣)</sup>

﴿ وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) الطلاق : ٧ .

(٢) النحل : ٧٢ .

(٣) الأعراف : من الآية ١٨٩ .

(٤) الروم : من الآية ٢١ .

(٥) النساء : من الآية ١٩ .

### أخي المسلم:

أنت ترى أن القرآن الكريم يجنب الأسرة أسباب الخلاف، وهو يذكرها بالرحم، ويربطها بالرحمة، ويعصمها باليقين، ومع كل هذا إن دبَّ خلافٌ بين الزوجين أو خيفَ شقاق، ندب القرآنُ إليه أولي الفضل من الرجال، وأولي القرابة من الأرحام، ووقف يسدد خَطَوَاتِهِمَا بالتوفيق إن عزمَا على إقامة صلح أو إعادة ود

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا

إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١)

وإن اتسع الخلاف وُعِدِمِ الوفاق، وقف القرآن يطلبُ تحقيقَ البرِّ بينهما حتى في حالة استحالة العشرة، وهو يطلب المعروف في الحالين في حال قيام الزوجية، أو انفصالهما ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ (٢)

أرأيت مدى العناية التي أولاها القرآنُ للإنسان في نشأته، ورضاعته، وحضانه، وتوفير المودة بين أسرته.

### أخي المسلم:

إننا مع التربية الإسلامية الصحيحة نمضي مع خطِّ سير الإنسان؛ لنرى كيف يَهَيِّأُ الجوَّ الصالح والبيئة الصالحة للتربية الإسلامية الصحيحة.

إن جميع العوامل التي تُحوّل دون تحقيق هذه الغاية يعمل الإسلام على إزالتها، حتى ينشأ الطفل في جوٍّ طهور، ويُربَّى في مجتمع تقوم روابطه على الأخلاق والآداب، فلا تتناقض وسائل التربية بعضها مع بعض بل تتآخي جميعها في تحقيق غاية واحدة

(١) النساء : ٣٥.

(٢) البقرة : من الآية ٢٣١.



مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾  
 لا يَعْرِفُ أَحَدٌ مَاذَا يَأْتِي بِهِ الْعَدُوُّ ﴿٢﴾ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۗ وَمَا  
 تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ ، فعلى الذين  
 يخافون على ذريتهم من بعدهم أن يخشوا الله ويتقوه في كل شيء وفي مَنْ يتولون أمرهم  
 في اليتامى، وليقولوا قولاً جميلاً هادياً إلى محاسن الآداب وكرام الصفات. فاليتيم - لا  
 يُضَيِّعُ - ودين الله قائم. إن الله يجمع بين عبادته وبين الإحسان باليتامى في آية واحدة  
 ﴿ ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ  
 وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴾ (٣)، ويجعل من أسباب التكذيب بالدين إيداء اليتيم أو النيل  
 من حقوقه ﴿ ۞ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ﴿٤﴾ فذلِكَ الَّذِي يَدْعُ  
 الْيَتِيمَ ﴿٥﴾ (٤)

إن المجتمع الإسلامي - وهو يُطبِّقُ تعاليم دينه - لا يُضَيِّعُ فيه ضعيفاً أو يتيم، بل  
 تسود الرحمة كلَّ شيءٍ من إنسان وحيوان.

« فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ (٥) أَجْرٌ » (٦)

« عُدَّتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَّتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَّتْهَا

(١) النساء : ٩ .

(٢) لقمان : من الآية ٣٤ .

(٣) النساء : من الآية ٣٦ .

(٤) الماعون : ١ : ٢ .

(٥) أي كل كبد حية، والسرَادُ رَطْبَةٌ الْحَيَاةِ، أو لأن الرُّطْبَةَ لازمةٌ لِلْحَيَاةِ فَهِيَ كِتَابَةٌ.

(٦) متفق عليه.

إِذْ حَسِبْتَهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَهَآ تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ» (١)

إنه مجتمع مترابط متكافل، ليس من حقّ واحد أن يقول: هذا موضعي أفعل فيه ما أشاء.

بل على المجتمع أن يأخذ على يد كل مفسد، وعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. عليه أن يوفر الأسباب لاستقرار النفس وطمأنيتها وتربيتها تربية إسلامية صحيحة تبعد بها عن أسباب الفحشاء والمنكر والبغي.

### أخي المسلم:

بدأت عينُ الطفل تفتح للحياة، فلتتابع السير معه؛ لنرى أسلوب التربية الحكيم الذي يُحقّقه الإسلام في جميع المراحل.  
إن الأمّ - والطفل يتدرج بين يديها - مأمورة أن تغرس فيه أكرم العادات وأن تتجنب الوعود الكاذبة التي تُغريه بها دون تنفيذ، حتى يتعود الطفل - منذ نعومة أظفاره على الصدق، ومعرفة ما يحل له وما لا يحل.  
وتعالوا بنا نرى هَدْيَ مَنْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ﷺ في توجيه الأطفال وتعويدهم على العادات الطيبة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: كَيْفَ كَيْفٍ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَا لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ » (٢)  
الله أكبر.. تأمل كيف ينهى الرسول ﷺ الحسن وهو صبي عن أكل تمرة لا تحل له، ويأمره أن يرمّ بها ويقول في رواية: « أَلْقِهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ » (٣)

(١) رواد مسلم.

(٢) رواد البخاري.

(٣) رواد أحمد.

في الحديث المتفق عليه عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: « كُنْتُ غَلامًا فِي حَجْرٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدَيَّ تَطْيِشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا غَلامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلَّ يَمِينِكَ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ. فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ »<sup>(١)</sup>

وروى أبو داود بإسناد حسن عن عَمْرٍو بْنِ شَعِيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ »<sup>(٢)</sup>

إن مسؤولية الرعاية تتوزع وتتعدد، فعلى كل مسلم واجبه حيث كان موضعه. والصبي وقد وصل إلى سنة أو عشرة تمتد رعايته من البيت إلى المدرسة إلى المجتمع بعاداته وتقاليده، وكل أولئك مسئولون بين يدي الله عن القيام بواجب التربية الإسلامية الصحيحة، وأن تنسق الجهود ولا تتناقض في تحقيق الغاية الواحدة حتى يستطيع المجتمع الإسلامي أن يحافظ على الشخصية الإسلامية بإيمانها وسلوكها.

في الحديث المتفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « كَلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. فَكَلُّكُمْ رَاعٍ وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »<sup>(٣)</sup>

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه البخاري.

### أيها القارئ الكريم:

إن التربية الإسلامية أساسٌ في إيجاد مجتمع طَهُورٍ ينعمُ الإنسان فيه بنعمة الأمن على النفس والمال والعرض، وقد رأينا كيف يعمل الإسلام على إيجاد بيئة صالحة يتوافر فيها للطفل أن ينشأ على الخير، وأن يتدرج في معالي الفضيلة والطهر. وتعالوا بنا نتابع السير، لنرى ما يفرضه الإسلام على أبنائه من آداب، وما يحدده من سلوك.

لقد رأينا من قبل دعوة الإسلام إلى اختيار الروحة الصالحة والزوج الصالح، ورأينا عنايته برضاة الطفل وحضانهه وتحقيق الألفة بين أهله، ورأينا مسئولية الفرد والمجتمع في ذلك.. وتأملنا هدي رسول الله ﷺ في تربية الأولاد وتوجيههم. وماذا صنع مع الحسن بن علي - رضي الله عنهما - حين تناول ثمرة من مال الصدقة، وهو صبي، وكيف زجره وقال له: « كَيْفَ كَيْفٌ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ »<sup>(١)</sup> كما تأملنا أمره وهو يقول ﷺ: « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَأَضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ »<sup>(٢)</sup>

وقد قلنا من قبل: إن الصبي وقد وصل إلى سن سبع أو عشر تمتد رعايته من البيت إلى المدرسة إلى المجتمع، فواجب أن تتسوق الجهود وأن تتضافر وسائل التربية ولا تتناقض.

ولنمض لنرى أسس التربية الصحيحة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

أنظر إلى الضوابط والحدود التي يرسمها القرآن لسلوك الإنسان منذ صباه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِدِّنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ

(١) رواد البخاري.

(٢) رواد أبو داود.

يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ  
 ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ  
 عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ ۚ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ  
 كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ  
 مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَذَلِكَ  
 يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾<sup>(١)</sup>

آدابُ ينشأ عليها الطفل، وأخلاقُ تقوم في البيئة الإسلامية بدافع من إيمان  
 ويقين، الطفل قبل الحلم يستأذن في أوقات معلومة ﴿ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ  
 تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ﴾، وإذا بلغ الحلم يؤمر بما  
 يؤمر به غيره ﴿ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup>

ومن الاستئذان على كل حال ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا  
 غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ  
 لَعَلَّكُمْ تُذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ  
 يُؤْذَنَ لَكُمْ ۗ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۗ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا

(١) النور : ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) النور : ٥٩ .

تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ ﴿١٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٩﴾ ﴿١﴾

وأنظر إلى من كان خُلِقَهُ الْقُرْآنَ ﷺ وهو يعلمنا أدب الاستئذان وحدوده.  
عن أبي موسى الأشعريؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « الاستئذان ثلاث، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ » (٢)

وروى أبو داود بإسناد صحيح عن ربي قال: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتٍ، فَقَالَ: أَلِجْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِخَادِمِهِ: اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِمَهُ الْاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟ فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ ﴿٣﴾

وروى أبو داود والترمذي عن كِلْدَةَ بْنِ الْحَبَلِ ﷺ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « ارجع فقل: السلام عليكم أدخل؟ » (٤)  
وفي الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «  
إِنَّمَا جُعِلَ الْاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصْرِ » (٥)

أخي المسلم:

إن الإسلام ينشد مجتمعاً طهوراً تصان فيه الحرمات.  
لذا فإن الآداب التي قررها، والأخلاق التي أقر بها هي - وحدها - التي  
تصون المجتمع من التردّي في مهاوي الرذيلة والمنكر.

(١) البور: ٢٧ - ٢٩.

(٢) رواد مسلم.

(٣) رواد أبو داود.

(٤) رواه أبو داود والترمذي.

(٥) متفق عليه.

## كان خلقه القرآن

ومجتمعاتنا الإسلامية في حاجة إلى أن تُفَرَّقَ بين أمرين بين نتائج العلم المادي، وآداب السلوك. إن العلم ونتائجه ميراثٌ بشري عملت فيه الإنسانية منذ آدم - ﷺ - وتوارث لاحق عن سابق، حتى امتدت فروعها وتعددت نتائجها، فالعلم ليس ملكاً لأمةٍ دونَ أمةٍ، وإنما هو للإنسانية جميعاً.

وقد حَظَّتْ به الأمة الإسلامية أعظم الخطوات وأبرها يوم أن كان نشاطها - في جميع الحالات - يرتبط بدينها. ونحن مطالبون أن ننشر العلم مهما بعدت به أو بنا الدار. أما آداب السلوك. فلكل أمة مقوماتها وشخصيتها، إن هي تنازلت عنها - مقلدة غيرها - فقد أبت إلا أن تكون كاللبغاوات أو القروذ التي تحكي قول الغير وتُقلدُ عَمَلَهُ.

إننا أمة تميزت بشخصيتها على مر التاريخ، وعُرفت بها.

والإسلام هو الذي حَفَظَهَا وحافظ عليها، وحقق لها الاحترام بين الأمم، وجعل لها مجداً وتاريخاً. وجعلها رائدة الأمم في جميع مجالات الخير. فلنحذر التقليد الأعمى لعادات الغير وسلوكه.

فإن الدنيا جميعها في حاجةٍ لأن تنعم بأمن المسلم وإيمانه، وأن تسعد بنوره وبقيته.

إن الرجال الذين أُنِحَتْهم آداب هذا الدين هم غرّة جبين الدهر، ووسام الشرف في التاريخ الإنساني.

فلنأخذ أنفسنا بآداب ديننا، ولنحذر أن نفرط يوماً في مقومات شخصيتنا التي تقوم على الإيمان وآدابه حتى لا نُضِلُّ أو نُضَلَّ.

والرسول ﷺ ينهنا إلى موطن هدايتنا وعصمتنا، فيقول: « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكُمُ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ »<sup>(١)</sup>

\* \* \*

(١) رواه مالك في الموطأ.